

ملامح النظام السياسي في حضارة ماجان (شبه جزيرة عُمان) خلال العصر البرونزي المبكر

(٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م)

أسمهان سعيد الجرو

أستاذ التاريخ القديم المشارك، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة السلطان قابوس

(قدم للنشر في ١/٣/١٤٣٥هـ، وقبل في ٧/٦/١٤٣٥هـ)

الكلمات مفتاحية: ماجان، أم النار، شبه جزيرة عُمان، النظام السياسي، العصر البرونزي، الألف الثالث ق.م. ملخص البحث: تبحث الدراسة ملامح النظام السياسي في حضارة ماجان (شبه جزيرة عُمان) خلال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، حقبة تاريخية متميزة أطلق عليها الباحثون أكثر من اسم منها فترة أم النار وعصر ماجان والعصر البرونزي المبكر، في هذه الحقبة دخلت ماجان مرحلة جديدة من تاريخها الحضاري بعد استغلال النحاس وتحسين وسائل الإنتاج الزراعي، كما خطا الإنسان خطوة جريئة في المجال الملاحي فغدت صلاته التجارية مع حضارات العالم القديم وبالذات بلاد الرافدين ووادي السند راسخة ومنتظمة، ويبدو جلياً أن الطبيعة الجغرافية لماجان قد حالت دون قيام دولة مركزية واحدة، فظهرت فيها عدد من المستوطنات شبه المستقلة، كل مستوطنه عبارة عن تجمع سكاني كبير يشكل مركز الإمارة، ويأتي على رأس كل إمارة حاكم أطلق عليه ملوك بلاد الرافدين نفس الألقاب الملكية المعروفة لديهم، وقد امتازت تلك الإمارات بتجانسها الحضاري الفريد، وفي ضوء المعطيات الأثرية والنقشية، المتوافرة حتى الآن، خلصت الدراسة إلى أن النظام التحالفي القائم على القرابة والنسب بين الإمارات كان السمة الأساسية للنظام السياسي في ماجان طيلة النصف الثاني من الألف الثالث ق.م.

مقدمة

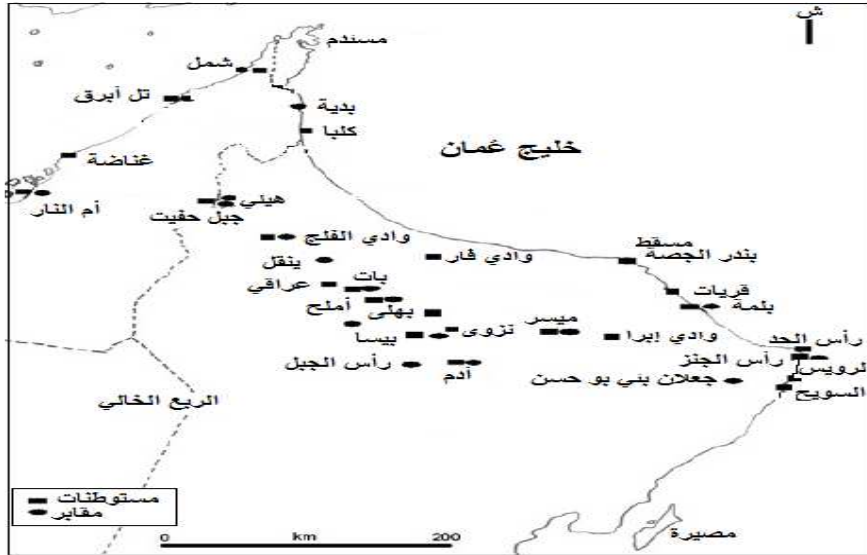
لقد كان للطبيعة الجغرافية لشبه جزيرة عُمان^(١) أثر كبير وفعال في طبع حضارة ماجان بطابع خاص و متميز، بل أنه ليصعب معرفة تنظيماتها الاجتماعية وتكويناتها السياسية، ما لم نلق نظرة ثاقبة على الدور الفعال الذي لعبته تلك الطبيعة وعلى وجه الخصوص، الموقع الجغرافي المتميز والبيئات الطبيعية التي يمكن تصنيفها إلى بيئات جبلية وبحرية وصحراوية، لقد أدت تلك الأقسام المتنوعة وظيفتها الطبيعية - على أكمل وجه - في خلق الصورة النهائية للمناخ والنبات، وتوزيع السكان وأنماط معيشتهم وأنشطتهم الاقتصادية، فقيام المستوطنات على ساحل البحر منذ عصور ما قبل التاريخ ساعد في رسم الإطار الحضاري لسكان المنطقة، كما قدم لنا صورة جلية تعكس درجة تكيف هذه الجماعات مع الطبيعة، من خلال المعثورات وارتباطها بالاقتصاد المعيشي والتبادل التجاري مع الشعوب الأخرى (Cleuziou & Tosi 2000, 23;)

(Cleuziou, 1996)، أما المستوطنات الزراعية في الداخل فقد توزعت إلى وحدات شبه مستقلة وفق مجرى الماء، وكان الاستيطان متواصلًا في منطقة سفوح الجبال كلها من البريمي شمالاً إلى أبراج جنوباً؛ أي على طول مسافة تقدر بـ (٣٥٠ كم) تقريباً (Schreiber ٢٩٢٠٠٧).

في ضوء المعطيات الأثرية والنقشية التي تعود إلى هذه الحقبة، يبدو جلياً أن مصادر الحياة في ماجان قد تنوعت بين الثروات البحرية في المناطق الساحلية والثروات الزراعية في الواحات والرغوية في الصحراء والصخرية والمعدنية في الجبال، فقد كان سكان ماجان في عصورهم القديمة شعباً ملاحياً وزراعياً ورعويًا في آن واحد، ذلك التنوع كان له انعكاسات مباشرة على الحياة الاجتماعية والسياسية، فعلى الرغم مما قدمته تلك الطبيعة الجغرافية من هبات اقتصادية متنوعة؛ إلا أنها حالت دون قيام دولة مركزية واحدة، فظهرت فيها عدد من المستوطنات عبارة عن تجمعات سكانية متجانسة، من بينها تبرز مدن متكاملة بأسوارها، وقلاعها، ومصادر مياهها، ومقابرها، ومبانيها الدينية (Cleuziou & Vogt, 1983) (شكل ١)، أن نظام المستوطنات المستقلة أو المدن يعد من أقدم وأبكر أشكال الاستيطان في حضارات الشرق الأدنى القديم، فالمستوطنة أو المدينة تشغل وضعاً متقدماً

(١) يقصد بشبه جزيرة عُمان (ماجان) المنطقة الممتدة من رأس مسندم شمالاً إلى خليج مصيرة جنوباً ومن رأس الحد شرقاً إلى خليج العديد جنوب قطر غرباً، هذا الإقليم الجغرافي يضم حالياً الجزء الشمالي من سلطنة عُمان ودولة الإمارات العربية المتحدة.

كمركز للحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية ونفسه، من هي الجهة المنظمة لذلك الازدهار وما طبيعة والسياسية (Woolley, 1963). فالسؤال الذي يطرح النظام السياسي الذي كان يسير تلك الأمور؟



الشكل (١) مستوطنات عصر ماجان في شبه جزيرة عُمان.

الإله (داجان) الذي أعطاه المنطقة العليا.. حتى غابة الأرز وجبل الفضة" (البدر، ١٩٨٧، ٥١)، في حين أظهر خلفاؤه أطعماً عسكرياً تجسدت في محاولات حثيثة لبسط النفوذ السياسي على ماجان، لما تحظى به من موقع إستراتيجي وثروة كبيرة من الموارد الطبيعية التي تفتقر إليها بلاد الرافدين الجنوبية كالنحاس وحجارة الديوريت ذات الجودة العالية، من بين هؤلاء الملوك، الملك الأكادي مانشتوسو (Manishtusu) الذي تحدث في نصه عن الحملة العسكرية الظافرة التي قام

السلطة السياسية في ماجان في ضوء الكتابات المسارية في وقت مبكر من العصر الأكادي في بلاد الرافدين، تفاخر (Sarru-Kên) سرجون الأكدي (٢٢٧٩-٢٣٣٤ ق.م) في أحد نصوصه الشهيرة بالسفن القادمة إلى عاصمته أكاد من كل من ماجان ودمون^(٢) وملوخا^(٣)، "عندما خرّ ساجداً متعبداً أمام

(٢) دلمون في الكتابات المسارية يقصد بها البحرين القديمة.

(٣) ملوخا يقصد بها بلاد السند.

بها في البحر الأسفل (الخليج العربي) حين قال: "مانشتوسو ملك كيش حين أخضع أنشان^(٤) وشيريكوم^(٥) عبر البحر السفلي في قوارب. وفي الضفة الأخرى من البحر تجمع ملوك المدن اثنان وثلاثون ملكاً من أجل المعركة. (مانشتوسو) هزمهم وأخضع مدنها، عزل أسيادهم وقبض على كل البلاد إلى مناجم الفضة، وأخذ أحجار الجبل التي وراء البحر السفلي وصنع (منها) تماثلاً له وقدمه هدية إلى الإله أنليل..". (البدري، ١٩٨٧، ٦٠؛ بوتس، ٢٠٠٣، ٣٤٠).

الحجر تماثلاً لنفسه وللإله إنليل (البدري، ١٩٧٨، ٦٠)، فالإشارة إلى مناجم المعدن لها مغزى عظيم في ضوء مصادر النحاس المستورد من ماجان، أما الحجر الأسود الذي أقتلعه (مانشتوسو) وصنع منه أربعة من تماثيله ومسلته الشهيرة، فيقصد به حجر الديوريت، وأثبتت التحاليل الحديثة أن اثنين من تماثيل مانشتوشو المحفوظة في متحف اللوفر مصنوعة من أحجار منتشرة في أنحاء متفرقة من شبه جزيرة عُمان (بوتس، ٢٠٠٣، ٢٤٣).

لقد بدأ (مانشتوشو) هجومه على مدن في الضفة الشرقية من البحر الأسفل (الخليج العربي) منها: أنشان، وشريخوم، بعد ذلك اتجه إلى الضفة الأخرى من البحر حيث تجمعت فيه قوة مجندة متحالفة من ٣٢ مدينة لتحسم المعركة، وحاربها وانتصر عليها كما يقول، واستعبد مدنها وملوكها، أي أن (مانشتوسو) طوق قوات العدو القادمة من مناجم المعدن البعيدة جداً، إضافة إلى ذلك اقتلع حجارة سوداء من الجبال وحملها في سفن أرسدت في ميناء أكاد، وصنع من هذا

وفي أعقاب الثورات الواسعة ضد الملك (نرام سين) (Naram Sin) التي اندلعت في بداية حكمه، قام هذا الملك بهجوم على ماجان، وجاء في نقش كتب على تماثيل للملك نفسه ما يلي: "سار ضد بلد ماجان وألقى القبض على مانو دنو^(٦) ملك ماجان" وفي لوحة نقشت كتابات لنفس الملك "نرام سين القوي، ملك الجهات الأربع، الظافر في تسع حروب في غضون سنة واحدة". فبعد انتصاره في هذه المعارك، جلب أيضاً ملوكها الثلاثة مغلبن بالقيود أمام الإله إنليل، وأخضع ماجان وأسر (ماري-دان) ملك ماجان،

(٤) انشان Anshan: مدينة تقع في جنوب غرب إيران (البدري،

١٩٨٧، ٦٠).

(٥) شيريكوم Shirikum: مدينة تقع في جنوب غرب إيران

(البدري، ١٩٨٧، ٦٠).

(٦) يورد الاسم في الكتابات المسماة بأكثر من شكل: منو،

منو دنو، ماري دان، ماري أوم، مانوي، ومنو دنو، والاسم

(منو) يعني بالبابلية القوي (بوتس ٢٠٠٣، ٢٤٤).

(Ensi) ماجان، يشير النقش إلى أن هذا الحاكم الماجاني أرسل مبعوث له يدعى (ويدوم) إلى مدينة (أور) لتسليم بضائع لمهرجان (أكيثو)^(٨) خلال شهر البذار (بوتس، ٢٠٠٣، ٢٥١-٢٥٣)، هذا الحدث يسمح لنا بالاستنتاج أن الحاكم المحلي لأحدى مدن ماجان كان له من الأهمية ما يكفي للسماح بمبعوثه بالمشاركة في الاحتفالات الدينية لمدينة (أور) في نهاية الألف الثالث ق.م.

يبدو جلياً أن الألقاب الملكية التي أضفها ملوك بلاد الرافدين على حكام ماجان قد تفاوتت بين لقب

واقطلع كتلاً من الديوريت من جبالهم ونقلها إلى مدينة أكاد، وصنع منها تمثالاً لنفسه. وهناك تقرير بابلي قديم يتحدث عن ثورة عارمة قامت ضد (نرام سين) تتضمن أسماء زعماء ومنهم اسم "منو" ملك ماجان، وقد عثر على آية من المرمر كتب عليها: "نرام سين، ملك الجهات الأربع، آنية (من) غنائم ماجان" (بوتس، ٢٠٠٣، ٢٤٤-٢٤٥). والملاحظ أن (نارام سين) يلقب خصمه في ماجان باللقب السومري "إين En"، الذي يعني السيد^٧ ويعد هذا اللقب من أقدم الألقاب الملكية المعروفة في سومر، فهو يأتي من الاسم المركب للإله السومري (إنليل) الذي يعني (إين) سيد (ليل) الهواء، أي سيد الهواء (عامر، ١٩٩١، ٢٧).

أما أقدم نقوش سلالة أور الثالثة التي تشير إلى ملوك ماجان فتعود إلى عهد الملك (شولكي) (٢٠٩٤-٢٠٤٧ ق.م)، ذكر فيه وصول ذهب من (لوجال ماجان)، أي ملك ماجان، أما أحد نقوش الملك (أمار سين) (٢٠٤٦-٢٠٣٨ ق.م) فتذكر اسم لحاكم ماجاني يدعى (نادوب-بيلي) لقب بـ (إنسي

(٨) يحتفل الشعب الآشوري (سريان/كلدان) في (الأول من نيسان) من كل عام بعيد (الأكيثو)، وهو اليوم الأول من بداية السنة الآشورية، في سوريا وباقي مناطق تواجده، جرياً على عادات أجداده في (بلاد ما بين النهرين). حيث يقيم الآشوريون احتفالات شعبية بين أحضان الطبيعة وبحسب الطقوس والتقاليد الآشورية القديمة، مثل تقديم القرابين للآلهة والهدايا للملوك وإقامة طقوس احتفالات عقد زواج جماعي، وإقامة المهرجانات الفنية والتراثية من غناء و دبكات رقص شعبية وغيرها من التقاليد القومية عند الآشوريين والتي تعبر عن عقب الحضارة الآشورية وأريج التراث السرياني الأصيل. سليمان يوسف يوسف، آشوريو سوريا وهواجس الخوف في عيد الأكيثو، الحوار للمتمدن-العدد: ١١٥١ - ٢٠٠٥ / ٣ / ٢٩، ٣٤٤٢ =

(٧) ظل حكام عُمان يلقبون بالسيد حتى القرن الخامس الميلادي حيث نجد أحد النقوش الحميرية (CIH 597) يشير إلى حكام عُمان باسم (أسياد عُمان) (الجرو، ٢٠٠٦، ٩٣-٩٦).

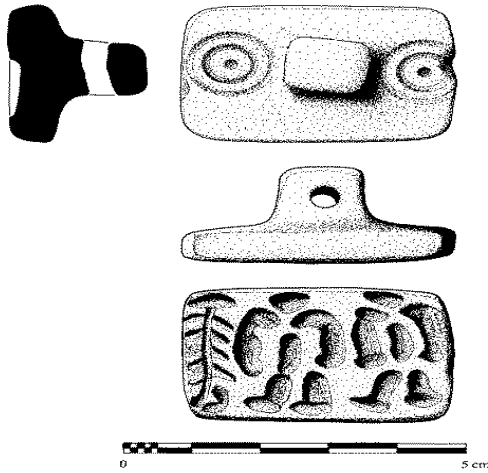
(لوجال Lugal) ملك، (إين En)، سيد أو أمير، و(إنسي Ensi)، الحاكم الرسمي للمدينة والأراضي التابعة لها، وهذا التفاوت لا يمكن معرفة مدلولاته بصورة دقيقة ما لم ندرس تلك الألقاب ومدلولاتها بالنسبة لبلاد الرافدين مع الأخذ بعين الاعتبار الفترة الزمنية التي استخدمت فيها تلك الألقاب. أما الموقع الجغرافي لماجان بأقاليمها المختلفة فقد ذكره الملك (شوسين) (٢٠٣٧-٢٠٢٩ ق.م) أحد ملوك سلالة أور الثالثة في أحد نصوصه عندما قال: "بلاد سوبور على شواطئ البحر الأعلى (البحر المتوسط)، وماجان مع كل مقاطعاتها، على الجانب الآخر من البحر (يقصد البحر الأسفل أي الخليج العربي)" (بوتس، ٢٠٠٣، ٢٥٢).

النظام السياسي التحالفي والتجانس الحضاري

أن تعدد الحكام أو الأسياد في الكتابات المسماة يؤكد تعدد المدن البارزة في ماجان وإذا عدنا للمكتشفات الأثرية التي تنتمي لهذه الحقبة نجدها تؤكد هذه الحقيقة، فقد كشفت بعثات الآثار عن مجموعة كبيرة من المستوطنات المتجانسة (Häser, J. 2000; Ibrahim, M. & Gaube, H. 2000) والمستوطنة عبارة عن تجمع سكاني كبير يشكل مركزاً للقبيلة

وأوتحاد القبائل، وقد توزعت تلك المستوطنات إلى وحدات شبه مستقلة وفق مجرى الماء، كما تجمعت في بعض الواحات التي توجد بها ينابيع المياه كواحة البريمي والعين، ويضم هذا الإطار مدافن حفيت، ومدافن البريمي ومستوطنة (هيليا ٨)، ومدافن (جرن بنت سعود)، بدولة الإمارات العربية المتحدة، وهي منطقة ذات أهمية كبيرة، ونقطة عبور مهمة للقوافل التجارية التي تصل من الداخل جبال الحجر إلى الساحل (Schreiber ٢٠٠٧)، وفي سلطنة عُمان نجد آثار هذه الفترة تتركز في عدد من الأودية: وادي بهلا، وادي فار، وادي حلفين، وادي عندام، وادي سمد، وادي أثلي، وادي إبراء ووادي بثة، (جميع الأودية الرئيسة في المنطقة الشرقية)، ومن أبرز المستوطنات (بات) (Frifelt, 1985) و(ميسر) و(بسيا) و(هيليا ٨) (Cleuziou, 1989)، أما المستوطنات الساحلية فأكثرها شهرة: (رأس الجنز) (Charpentier, ١٩٩٤) (رأس الحد) (السويح) بسلطنة عُمان (Cleuziou, 2007; Brunswig, 1989)، (جزيرة أم النار) و(تل أبرق) بدولة الإمارات العربية المتحدة (Blau, 1996). في ضوء المكتشفات الأثرية يبدو أن تلك المستوطنات قد عرفت بتنظيمها الاجتماعي والاقتصادي الخاص القائم على القرابة والنسب، والمصلحة الاقتصادية فهي

الأيدي يقفان بجوار صورة نبات من المحتمل أنه سعف نخيل (شكل ٢)، مثل هذا الشكل نجده يتكرر في مثالين آخرين: ختم أصغر من الفترة نفسها عُثر عليه في كلبا بإمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة ينتمي إلى أوائل الألفية الثانية ق.م. (Cleuziou, 2003, 145). ورسم بارز آخر منحوت على الباب الجنوبي من القبر رقم (١٠٥١) في (هيلي ٨) يعود تاريخه إلى ٢٣٠٠ ق.م ويمثل الرسم شخصين في وضع قريب الشبه بوضع الشخصين في ختم (رأس الجنز ٢)، حيث يمسك كل منهما بيد الآخر ويقفان بين زوج من المها (Cleuziou, 2003, 145)، (شكل ٣).



شكل (٢) ختم حجري عُثر عليه في موقع رأس الجنز ٢ (وزارة التراث والثقافة سلطنة عُمان).

لم تشهد نظاماً سياسياً موحداً؛ بل عرفت نظام المستوطنات الشبه مستقلة ذات الأبراج والحصون الشاخحة (بوتس، ٢٠٠٣، ١٩٤)، وعلى رأس كل مستوطنة يأتي الحاكم الذي أطلق عليه ملوك بلاد الرافدين أكثر من لقب، كما أسلفنا، فلا يوجد في ماجان بلاط ملكي يتوجب على الزائر المثول أمامه؛ بل كان الوافد إليها يجد تشكيلة كبيرة من الحكام المحليين الشركاء الذين يحترفون السياسة والملاحة والتجارة، تلك السمة فرضت حاجة ماسة إلى وجود نمط ما من أنماط التعاون بين الأمراء المحليين لإيجاد التماسك الإقليمي، ولتأمين خطوط المواصلات، ونقاط الالتقاء في التبادل التجاري، ولتوفير الأمن الاقتصادي والسياسي اللازمين، بعض تلك الأهداف يمكن تحقيقها بمعاهدات الإمارات المختلفة فكل منها بحاجة للآخر، ويبدو أن هناك وحدة شبه رسمية بين قبائل تلك المستوطنات، ولعله كان اتحاداً قبلياً لسكان ماجان كافة، ويمكننا أن نفهم من بعض القطع الأثرية طبيعة ذلك التحالف الذي كان سائداً في حضارة ماجان حيث عكست عدد من الرسومات وجود مثل هذا التحالف، ففي ختم مستطيل عُثر عليه في موقع (رأس الجنز ٢)، بسلطنة عمان مؤرخ بحوالي ٢٣٠٠-٢٢٠٠ ق.م، نقش عليه صورة لشخصين متشابهين

وضع (Cleuziou) نظرية جديدة يشير فيها إلى أن شبه الجزيرة عُمان من الألف الثالث والثانية قبل الميلاد تتألف من ما يسمى عربياً القبليّة، التي كانت تركز على الملكية والمساواة القانونية بين الأفراد (Cleuziou, 2003, 140)، وهذا بالطبع لا يعني غياب الفروق في الثروة أو السلطة بين الأفراد.



شكل (٣) الباب الجنوبي من القبر رقم ١٠٥١ في هيلي ٨.

على الرغم من غياب الوحدة السياسية في ماجان، إلا إن هناك تجانساً كبيراً بين تلك الوحدات السياسية عكسته الثقافات المادية من خلال التقاليد المشتركة للعمارة والطقوس الخاصة بالدفن والمنشآت الدفاعية، فقد عكست الآثار المكتشفة التشابه الكبير في ممارسة الطقوس الدينية وتطورها مع مرور الزمن، سواء في الأراضي الساحلية، أو سفوح الجبال، أو على الوديان الجبلية، ويعد ذلك من أهم الدلالات الاجتماعية، فكل المدافن أحادية الغرف، وعلى وجه الخصوص، المعلمة بأكوام الأحجار، التي تنتمي للنوع المعروف بنوع (حفيت) والتي ظهرت في نهاية الألفية الرابعة ق.م فهي تشابه أينما وجدت.

وإذا نظرنا إلى المدافن الجماعية نجدها هي الأخرى متشابهة فقد أكدت آثار مقابر جعلان (رأس الحد، رأس الجنز) على وجود دفن جماعي يصل إلى العشرات من الأفراد في القبر الواحد، كما هو الحال في أم النار.

إن هذا الشكل من التنظيم السياسي المفترض يرتبط عادة بكبرى المراكز والمراسيم المهمة حيث يتم بشكل دوري إعادة التحالفات وتجديدها. وبالانتقال إلى تحليل المعطيات التي جاءت في كتابات ملوك بلاد الرافدين، ويبدو أن عدداً من أمراء ماجان المتحالفين ضد (منشتوشو)، كانوا ضمن الاثني والثلاثين أميراً، أما ملك ماجان الوارد اسمه في النصوص المسارية، فلا يستبعد كونه الرئيس المؤقت للتحالف القبلي الذي اختاره لمواجهة خطر الاعتداء، أو عند إقامة الصلات التجارية، والدبلوماسية.

في ضوء المعطيات السابقة يبدو جلياً أن الرابطة التي تربط الشعب هي رابطة النسب والمصالح الاقتصادية المشتركة أي رابطة مواطنة، تجمع شمل المواطن روحياً ومادياً، ونجد على رأس هذا الشعب حاكم محلي يحمل لقب ملك أو (سيد) أي أمير، وقد

القلاع والحصون والسلطة السياسية:

منذ عصور ما قبل التاريخ والقلاع والحصون في ماجان تشكل السمة الأساسية في الفن الهندسي المعماري، وقد تعددت النظريات حول وظيفة تلك المنشآت (Botan, 2012)، فأقدم نظرية تشير إلى أن للحصون والقلاع وظيفة دفاعية (Crawford, 1998; Frifelt, 1976).

تستند هذه النظرية على حقيقة أن معظم الحصون يوجد بها برج ذات جدران قوية، وخنادق، وإمدادات مياه صالحة للشرب، وفي عدد من الحالات كانت هندسة بناء الأبراج تتم بطريقة تقترب من بعضها في حركة كاشفة بين البرجين، هذا الأسلوب يمكن رؤيته في (بديا)، حيث يوجد برجين على جانبي الوادي المؤدي من الجبال إلى السهول الساحلية (Crawford, 1998, 112)، نظرية أخرى تشير إلى أن الغاية من بناء الحصون هي توفير الحماية للمستوطنة والحفاظ على إنتاج النحاس فيها (Frifelt, 1976)، نظرية أخرى ترى أن الأبراج والمساكن بنيت للنخبة المحلية من الزعماء وأنها تعمل بوصفها مركز السلطة الإقليمية (Cleuziou, 2003, 144)، وإن اختلفت تلك النظريات فإن القلاع والحصون في اعتقادنا، عبارة عن مساكن الزعماء المحليين، وفي نفس الوقت معاقل دفاعية لحماية المستوطنة.

كما أن الهندسة المعمارية للمدافن واحدة، وإذا تركنا عالم الموتى ومدافنهم وقصدنا المستوطنات نستطيع رسم صورة مبدئية الملامح لمدى صلة القرابة والنسب التي ربطت تلك التجمعات السكانية الواحدة (Cleuziou, 2003, 142-143) كما تعددت وتشابهت الأبراج المستديرة في المستوطنات الكبيرة مثل مستوطنة بات وهيلي (Frifelt, 1985; Cleuziou, 1980). وفي تلك المستوطنات انتشرت زراعة الشعير والقمح والحبوب ومحاصيل أخرى (al-Jahwari, 2009)، وتألفت حرفة صناعة الفخار عالي الجودة على نطاق واسع كفخار (جمدة نصر)، والفخار المحلي ذات الجودة العالية، كما اشتركت تلك المستوطنات في استخدام الأختام، وفي الاستفادة من تعدين النحاس واستخدامه كمادة خام وكسلعة دولية تدر عليها أرباح كبيرة؛ واشتركت في صناعة الحجر اللين بأسلوب فني فريد (Cleuziou & Tosi 2007, 245-247). إن ذلك التجانس الحضاري على المستويين الثقافي والاجتماعي أتى نتيجة وحدة الأرض والإنسان، ووحدة الثقافة المادية مع وجود التنوع والخصوصية التي ساعدت على صياغة الهوية السياسية للمجتمع العُماني القديم.

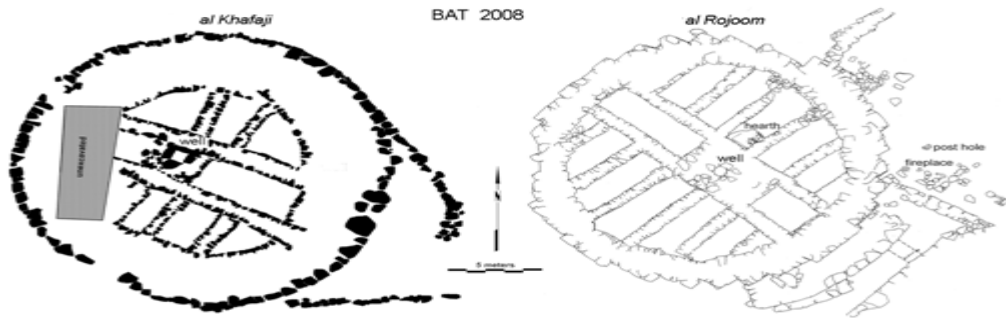
ومن القلاع المتميزة التي تنتمي لعصر ماجان قلعة (تل أبرق) التي يعود تاريخها لعام ٢٣٠٠ ق.م، أما قلعة (بديّة) فيعود تاريخها في ضوء الفخار المكتشف المستورد من بلاد الرافدين ووادي السند إلى حوالي (٢٥٠٠-٢٢٠٠ ق.م)، أما موقع (كلبا) فالاستيطان فيه يعود لفترة طويلة.

وقد أثبتت المعطيات الأثرية عن وجود أبراج مشابهة لتلك التي وجدت في واحات الداخل، ففي موقع (ميسر) عثر على أبراج مبنية ببلاط حجر ضخّم وجماميد يعود تاريخها إلى (٢٣٠٠ ق.م).

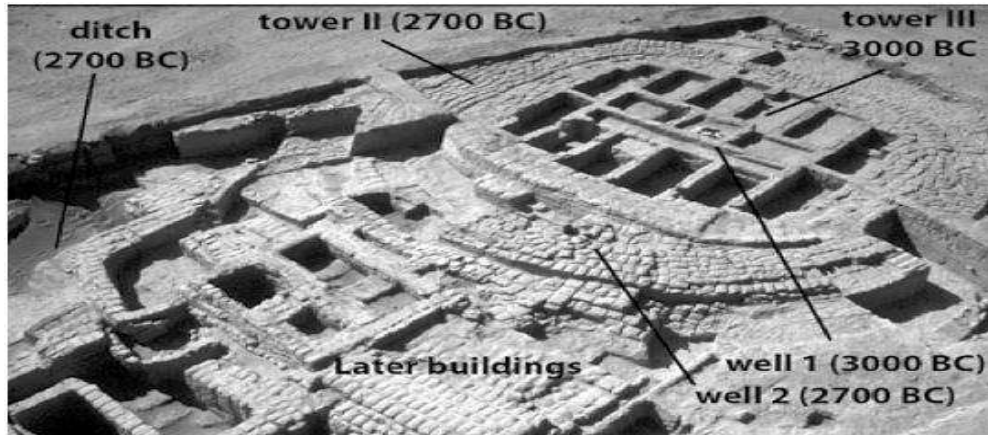
كما عثر على العديد من تلك الأبراج في كل من وادي بهلا، وعملا، وسلوت، وفرق، وروضة (Botan, Cleuziou & Tosi, 2007: 141-146).

إن سمات التطور التنظيمي في مجتمع ماجان بدأت أكثر وضوحاً منذ الألف الثالث ق.م، فانتشر بناء المنشآت السياسية، والدفاعية كالأبراج والخنادق التي تحيط بالمستوطنات، ففي مدينة (بات) عثر على آثار أبراج بلغ ارتفاع أحدها خمسة أمتار عن ارتفاع السهل المحيط به، وإن لم يحفظ كاملاً، وامتاز برج (هيلي ٨) الواقع في شمال العين (Cleuziou, 1982; Botan, 2012) بتصميمه الهندسي الفريد المشابه لبرج (بات) (شكل ٤-٥).

ويبدو من آثار البرج أنه مربع الشكل بني بالأجر الطيني. وتشير بقايا أساسات تلك الأبراج أنها مكونة من مجموعة جدران متصلة تشكل حجرات صغيرة، ملئت كل منها بالحصى والرمل وكان الأجر المستعمل في بناء قاعدة البرج كبير (Cleuziou, 1996).



شكل (٤) رسم لبرجي الخفاجي والرجوم (بات) (وزارة التراث والثقافة سلطنة عُمان).



شكل (٥). قلعة هيلي ٨ الجزء الشمالي الشرق (Botan 2012).

الذي يستقبل نحاس ماجان، فسقوط دولة (أور) بيد همورابي ملك بابل عام (١٧٥٩ ق.م) كان ضربة اقتصادية حقيقية ونهاية لماجان، في نفس الوقت تقريباً كانت حضارة (هاربان) الناضجة في بلاد السند قد وصلت الى نهايتها في وقت مبكر من عام (١٩٠٠ ق.م)، فطرق التجارة التي تربط آسيا الوسطى بموانئ الهاربان عفا عليها الزمن، وبالتالي توقفت شبكة الخطوط الملاحية التي تربط (هاربان) ببلاد الرافدين عن طريق ماجان، فالمواد الخام مثل: اللازورد والقصدير التي شكلت عنصراً هاماً في التجارة مع الشرق الأدنى القديم لم تعد متاحة للتصدير (Botan, 2012).

انهيار السلطة السياسية في ماجان

منذ مطلع الألف الثاني ق.م شهدت منطقة شبه جزيرة عُمان (ماجان) تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية ملحوظة، فقد ضعفت السلطة السياسية وضعفت معها معالم الحياة المادية والثقافية، فلم تعد ماجان تذكر بصورة مباشرة في كتابات ملوك بلاد الرافدين بعد فترة سلالة أور الثالثة (٢١٠٠-١٩٠٠ ق.م)، إن التدهور الذي أصاب حضارة ماجان جاء نتيجة تغيرات سياسية خطيرة شهدتها كل من بلاد السند (حضارة الهاربان) وبلاد الرافدين كانت لها تداعيات مباشرة عليها، فمنطقة جنوب وشرق بلاد الرافدين أصبحت عبارة عن دويلات صغيرة متحاربة فيما بينها بما في ذلك مدينة (أور) الميناء الرئيس

البنية الاتحادية، وتسوية أغلب النزاعات من خلال المفاوضات أو الرجوع إلى سلطة أخلاقية معترف بها، بدلاً من استخدام القوة التي تمارسها مؤسسات الحكم المركزي، وبناء عليه فإن ماجان من ناحية تتمتع بالإمكانية الجغرافية والاقتصادية للإندماج، ومن ناحية أخرى لديها البنية الطبيعية والاستيطانية المحفزة للانقسام السياسي. فحاكم ماجان الوارد اسمه في النصوص المسماة، ربما يمثل الرئيس المؤقت لتحالف القبلي والذي ربما عُيِّن لمواجهة خطر الأعداء أو لتسيير الأمور التجارية والدبلوماسية، فالوفاة إلى ماجان يجد مجتمعاً جيد التنظيم يرتب شؤونه التجارية بوسائله الخاصة. في ضوء ذلك يمكن الاستنتاج بأن الصيغة الاتحادية بين الإمارات القبلية كانت هي أساس التكوين السياسي لماجان، تلك الصيغة أملت نظام حكم متميز وفريد، وعلى الأرجح، هناك وحدة شبه رسمية بين قبائل تلك المستوطنات، ولعله كان اتحاداً قبلياً لمجتمع ماجان كافة ربما يتم وفق عهود ومواثيق متفق عليها، ولا شك من أن السياسة التحالفية بين الكيانات السياسية في ماجان في تلك الحقبة قد خلقت جوّاً عاماً غلب عليه الاستقرار والرخاء والهدوء بعيداً عن الدوامات السياسية الدامية التي شهدتها حضارات الشرق الأدنى القديم، لقد

ومع انهيار الحضارات العالمية انهار اقتصاد ماجان وفقدت النخب المحلية أعمالها المربحة، فخسروا الثروة والسلطة، وغدت معظم المواقع مهجورة واختفى بناء القلاع، كما تم التخلي عن القلاع القديمة (Cleuziou, 1976, Frifelt, 1989؛)، وظهرت أنواع جديدة من مقابر الدفن أقل تطوراً من السابق (Cleuziou 2009, 732)، وقد أطلق علماء الآثار على هذه الحقبة التاريخية الممتدة (٢٠٠٠-١٣٠٠ ق.م) اسم حقبة (وادي سوق) أو فترة العصر البرونزي المتأخر.

الخاتمة

من الرّاجح أنّ الطبيعة الجغرافية والتضاريسية المتنوعة لشبه جزيرة عُمان (حيث حضارة ماجان) قد حالت دون قيام دولة مركزية واحدة كاملة؛ إلا أن الإشارات والدلائل الأثرية والرسومات بيّنت لنا بأن ماجان قد عرفت نظام المستوطنات شبه المستقلة المتجانسة سياسياً، وفكرياً، واجتماعياً، أو كما يسمى (نظام المستوطنات) أو (الإمارات)، التي تقوم بإنتاج غذائها ذاتياً، والتزواج فيما بينها، وتمتلك ممتلكاتها الخاصة، وتقوم مؤسساتها الأساسية بنفسها، بالتداول سمة أساسية بين الإمارات أو الوحدات الاستيطانية والأقاليم الفرعية، مما يدفعهم إلى التوافق على نوع من

الجرو، أسمهان سعيد. مصادر تاريخ عُمان القديم، دراسة تحليلية، سلطنة عُمان، وزارة التراث والثقافة، ٢٠٠٦م.

عامر سليمان. اللغة الأكادية " الآشورية والبابلية " تاريخها وتدوينها وقواعدها، الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، دار الكتب، ١٩٩١م.

سليمان يوسف يوسف، آشوريو سوريا وهواجس الخوف في عيد الأكتيو، (الحوار المتمدن) العدد (١١٥١)، (٢٠٠٥) ٢٩ / ٣ / ٢٠٠٥.

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=3442>

المراجع الأجنبية:

Al-Jahwari, N. 2009. "The agricultural basis of Umm an-Nar society in the northern Oman peninsula (2500-2000 B.C.)", in: *Arabian archaeology and epigraphy* 20, 122-133.

Blau, S. 1996. "Attempting to Identify Activities in the Past: Preliminary Investigations of the Third Millennium BC Population at Tell Abra", *Arabian Archaeology and Epigraphy* 7: 143-176.

Botan, S. 2012. Tower-Fortresses of Ancient Magan: A study of the tower-fortresses of the third millennium on the Oman Peninsula, thesis, Archaeology of the Near East University of Leiden, Faculty of Archaeology, Leiden.

Brunswig, Jr, R.H. 1989. "Cultural History, Environment and Economy as seen from an Umm an-Nar Settlement: Evidence from Test Excavations at Bāt, Oman", 1977 / 78. *Journal of Oman Studies* 10: 9-50.

ظلت الحياة السياسية في ماجان متألفة طيلة خمسة قرون تقريباً إلى أن فقدت الدولة مواردها الاقتصادية، فانهارت السلطة السياسية وانهار معها بريقها الحضاري.

شكر وتقدير

أسجل جزيل شكري وامتناني لسعادة سالم بن محمد المحروقي وكيل وزارة التراث والثقافة لشؤون التراث بسلطنة عُمان لما مدني به من صور أثرية جديدة لم تنشر بعد، والشكر موصول لكل الزملاء العاملين بالوزارة.

المراجع

المراجع العربية:

البدر، سليمان سعدون. منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول ق.م، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٨م.

بوتس، دانيال. الخليج العربي في العصور القديمة، ترجمة إبراهيم خوري، تقديم ومراجعة، أحمد التدمري، وأحمد السقاف، ج١، من عصور ما قبل التاريخ إلى سقوط الامبراطورية الأخمينية، أبوظبي، المجمع الثقافي، ٢٠٠٣م.

- Frifelt, K.** 2002. "Bat, a Centre in Third Millennium Oman". Pages 101–110 in Cleuziou, S., Tosi, M. & Zarins, J. (eds), "Essays on the Late Prehistory of the Arabian Peninsula. (Rome, Serie Orientale Roma 93, Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente).
- Frifelt, K.**, 1976. "Evidence of a third millennium town in Oman", *Journal of Oriental Studies* 2, 57-74.
- Häser, J.** 2000. "Formation and Transformation Processes of Oasis Settlements in the Sultanate of Oman: Preliminary Report on a New Field Project", *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 30: 115–118.
- Ibrahim, M. & Gaube, H.** 2000. "Oasis Settlement in Oman", Pilot Study 1999-2000. Unpublizierter Report.
- Potts, D.T.** 1990. *The Arabian Gulf in Antiquity: from Prehistory to the fall of the Achaemenid Empire*, vol. 1. Oxford: Clarendon Press.
- Potts, D.T.** 2009. "The Archaeology and early history of the Persian Gulf". P. 27–56 in Potter, L.G. (ed.), *The Persian Gulf in History* (London, Palgrave Macmillan).
- Ryckman.,** 1951. *L'institution monarchique en Arabie méridionale avant l'Islam*, (Bibl. du Muséon, 28), Louvain.
- Schreiber, J.** 2007. *Transformationsprozesse in Oasensiedlungen Omans. Die vorislamische Zeit Am Beispiel von Izki, Nizwa und dem Jebel Akhdar*. Band I: Text, Inaugural-Dissertation zur Erlangung des Doktorgrades der Philosophie an der Ludwig-Maximilians-Universität München.
- Woolley, L.** 1963. *History Unearthed*, London.
- Charpentier, V.** 1994. "A Specialized Production at Regional Scale in Bronze Age Arabia: Shell Rings from Ra's al-Junayz Area (Sultanate of Oman)", *South Asian Archaeology*, 1: 157–170.
- Cleuziou, S. & Tosi, M.** 2000. "Ra's al-Jinz and the Prehistoric Coastal Cultures of the Ja'alān", *Journal of Oman Studies* 11: 19–73.
- Cleuziou, S. & Tosi, M.** 2007. *In the Shadow of the Ancestors: the Prehistoric Foundations of the Early Arabian Civilization in Oman* (Muscat, the Ministry of Heritage and Culture).
- Cleuziou, S. & Vogt, B.** 1983. "Umm an-Nar Burial Customs: New Evidence from Tomb A at Hili North", *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 13: 37– 52.
- Cleuziou, S.** 1980. "Three Seasons at Hili: Toward a Chronology and Cultural History of the Oman Peninsula in the 3rd Millennium B.C", *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 10: 19–32.
- Cleuziou, S.** 1989. "Excavations at Hili 8: A Preliminary Report on the 4th to 7th Campaigns", *Archaeology of the United Arab Emirates* 5: 61–87.
- Cleuziou, S.** 1996. "The emergence of oases and towns in eastern and southern Arabia", in Afanas'ev, G.E., Cleuziou, S., Lukacs, J.R. and Tosi, M. (eds), *The prehistory of Asia and Oceania*, Forli, ABA Edizioni, pp 159–165.
- Cleuziou, S.** 2003. "Early Bronze Age Trade in the Gulf and the Arabian Sea: The Society behind the boats", in D.T. Potts and H.A. Naboodah (eds), *Archeology of the United Arab Emirates*. London: Trident Press Ltd, 133-149.
- Cleuziou, S.** 2009. "Extracting wealth from a land of starvation by creating social complexity: A dialogue between archaeology and climate?" *Geoscience* 341, 726-738.
- Crawford, H. E. W.** 1998. *Dilmun and its Gulf neighbours*, Cambridge: Cambridge University press.
- Frifelt, K.** 1985. "Further Evidence of the Third Millennium B.C. Town at Bāt", in Oman, *Journal of Oman Studies* 7: 89–104.